يسعى الفتى لامور ليس يدركها فالنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ما عاش ممدود له امل لا تنتهي العين حتى ينتهي الاثر

ومما يدلك على احتفائه (صلعم) بالشعر وانجاحه وسائله حتى في الامر الجسيم والحدث العظيم كانه الشفيع الذي لايرد او السبب الذي لايجد ان امرأة من قريش خافت على قومها في احدى الغزوات سعد بن عبادة وكان يحمل راية الانصار وانما خافته لشدة فتكه وبلائه ولموجدة في نفسه فتعرضت لرسول الله (صلعم) فانشدته ابياتاً اولها

يانبي الهدى اليك لجا حي قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الار ض وعاداهم اله السماء
والتقت حلقتا البطان على القو م ونادوا بالصيلم الصلعاء
ان سعداً يريد قاصمة الظه ر بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيـ ـظ رمانا بالنسر والعواء
وغر الصدر لايهم بشيء غير سفك الدما وسبي النساء

ومنها

فلئن اقحم اللواء ونادى ياحماة الادبار اهل الثواء
ثم ثابت اليه من بهم الخز رج والاوس انجم الهيجاء
لتكونن بالبطاح قريش فقعة القاع في اكف الاماء
فامنعنه فانه اسد الاسـ ـد لدى الغاب والغ في الدماء
انه مطرق يريد بنا الام ر سكوتاً كالحية الصماء

فلما سمع صلى الله عليه وسلم هذا الشعر رق قلبه الشريف وخامرته رأفة ورحمة فامر بالراية فاخذت من سعد ودفعت الى ابنه قيس وهذه رحمة

بالغة في مثل هذه المواقف اجتلبها الشعر واستوجبها احمد محرم

(ستأتي البقية)

﴿ الفقر وعيوبه ﴾

الفقر من اشد حالات الدنيا ويلاً ووبالاً واكثرها بالانسان تبريحاً ونكالاً ولقد تتوالى على الغني اشد نوازل القدر فيلتفت الى يسره فاذا هي في حد العدم ويصيبه الدهر بادهى عوادي المرض فيدفعها اعتداده بماله كأن ما بالمرض ألم ثم تصيب الدنيا الفقير باخف خطوبها فاذا هي اثقل من الجبال وتكسوه اجمل اردية العافية والصحة فلا يرى نفسه الا سقيماً خاطراً في بال غير خاطر في بال

ولقد حير الناس هذا الفقر فما عرفوا حقيقة حدوده واشكل عليهم امره فما علموا هل يستغنى عنه ام لابد من وجوده ولكن الفقر مذموم على كل حال ثقيل كيف كان ولقد ولده نفس الانسان ولكنه من اجل ما يتبرأ منه ويكرهه الانسان بل هو من مولودات الطبيعة وما عقمت الطبيعة الا بالاحسان وانه لمن مكملات الوجود كما يدعون ولا يصح توازنه الا بالزيادة والنقصان

ومعلوم ان حالات الفقر بين الناس متعددة جداً حتى يكاد كل محتاج يكون فئة قائماً بها بنفسه وكذلك الغنى مختلف ايضاً اختلاف الفقر بحيث

لم تعد للكثرة والقلة مزايا التخصيص ولا خواص التميز بل كانت الحاجة بجميع حالاتها هي المؤثر الوحيد في كل اطوار الناس هذا من حيث حقيقة الاحتياج الى الشيء الانتفاع بجوهره والمقصود منه اما من حيث الاحتياج اليه للاستغناء به والاعتقاد بان وجوده مانع لمستقبل التماسه فكل انسان فقير لانه لاينفك عن الطلب او كل انسان غني لانه قد انتفع بما كسب

وليس من ارادتنا في هذا المقال بيان حال الفقر وما يكون من تأثيره بنفس الانسان وجسمه فان ذلك من الابحاث التي لايعلق الصواب فيها بجانب حتى يعلق الخطأ منها بجوانب ولكن الغرض ان نذكر هل كل فقير معذور لفقره وهل الفقر عيب في حال كما ان الغنى فضل في حال

فما يذكره الناس ويقولونه على الدوام ان الفقر ليس بعيب وهو قول على كثرة شيوعه بين العامة انما يقصد به تخصيص بعض حالات من الفقر بانها ليست عيباً وليس كلها كما ان الغنى كله ليس فضلاً لانه كما ان الغنى قد يكون بالجد وحسن الحظ فكذلك الفقر قد يكون آتياً من سوء البخت ونكد الطالع . وما حسن الحظ على الغالب الا ان يرث الانسان مال سواه فيستغني بلا حق ولا جزاء وما عثرة الجد الا ان يمرض من لامال له الا عافيته وهو لم يقصر ولا اساء

ولقد قلنا ان الناس خصصوا بعض حالات الفقر بانها ليست بعيب وهو قول لارد عليه اذ العيب انما يصدر مباشرة من نفس الانسان فاذا جاء بسبب من عند غيره فهو ليس بعيب ومن اجل ذلك كانت الزكاة وامر بالاحسان والمعروف وقامت جمعيات البر والاعانة وامثال هذا مما لو امتنع

من الدنيا لاختل نظامها واضطرب توازنها ولثار على الاغنياء كل الفقراء الذين جاء فقرهم من عوادي الدهر ومؤثرات الطبيعة وقاموا يساطون سوء بختهم على حسن بخت غيرهم حتى يرجع حكم الدنيا لقوة البدن وهو ما كان في البدء بلا شك

بقي البحث الان في عيوب الفقر الحقيقي وهي العيوب التي لامراء فيها ولا جدال عليها ولو انكرها بعض الفقراء ممن يريدون ان تمطرهم الدنيا ذهباً دون ان ينقلوا لتحصيله قدماً او ممن يتوهمون انهم كانوا اقدر على الغنى من غيرهم ولكن غيرهم استغنى ولبثوا هم فقراء . اما احد تلك العيوب التي نشير اليها فهو الكسل فانه من اجل عوامل الفقر واكثر دواعي الفاقة والاحتياج بل هو الافة الوحيدة التي تسبب الفقر للانسان دون ان يدري انه السبب او هو يدريه ويحاول نكرانه ويدعي غيره سبباً ارادة ان يكون معذوراً لفقره وما نظن رجال الفوضى واللصوص وامثالهم الا من هذه الفئة التي تقعد بهاهممها عن السعي والتحصيل من الوجوه المباحة ثم تكون جسورة مقدامة لنيل رزقها من الوجوه المحرمة الممنوعة ولو كان رجال الخير والاحسان ينتقدون الذين يتصدقون عليهم ويحسنون اليهم لوجدوا بينهم كثيرين من هذه الفئة التي تنال رزق سواها دون جهد ولا تعب

ومن الفقر العائب مايكون صادراً عن الكبرياء والانفة من غير اللائق بهما وهو من اقبح عيوب الفقر فانك ترى الرجل الجاهل الخامل الفاسد الاصل والفرع يدور بين الناس صفر الكف ساخطاً على دهره عائباً حال دنياه ناسباً اليها قلة الرزق وضيق الساحة فتعرض عليه عملاً يقوم

بحاجته ويكفيه ذل الحال ومؤونة الشكوى فيعرض عنك بدعوى ان هذا العمل دون منزلته واقل من رتبته ثم تراه بعد ذلك دائراً بين الناس يثقل عليهم ويصادرهم بما يستطيع حتى يكون عالة على قومه ويعيش في دنياه لا هو ممن يقبلون الاحسان العلني حتى تنفرج ازمتهم ويرون لهم عملا ولا هو من مريدي العمل فيشتغل ويكف عن الناس اذى تثقيله ثم يظل كذلك حتى يموت غير مأسوف عليه وامثال هذا انما يكثرون في بلادنا الشرقية حيث تمتد الصنيعة ويتباهى الكثيرون بها وحيث لاحكومات حازمة تسأل كل انسان عما يفعل ومن اي سبيل يرتزق

ومما يسبب الفقر ايضاً ويعاب صاحبه به الحياء وهو كما قيل يقطع الرزق ولكنه اهون العيوب احتمالاً وادناها من العذر وبين الناس كثيرون قد اصيبوا بهذا الخلق واعانتهم المدنية على التشبث به فتراهم وهم على الغالب من رجال العلم والمعرفة لايرتضون بكل عمل يعرض عليهم حياء من مباشرته وترفعاً عن الدنو اليه ولكنهم مع ذلك يعيشون غير مثقلين على احد الا بالتخفيف عنه ويدومون على طبعهم هذا حتى يأتيهم الدهر بما ينطبق على مقاديرهم ويكون العمل فيه من رأيهم فيعيشوا راضين قانعين والا فاذا برّح بهم الفقر وامتد الحياء فانهم ينتحرون وليس الذين نسمع عنهم كل حين بانهم قتلوا نفوسهم تخلصاً من مرارة العيش الا من هذه الفئة وانت ترى ان كل هذه العيوب التي ذكرناها لو اعتبرت لدى الحقيقة لوجدت ان اربابها مغلوبون عليها وانها قد وصلت اليهم عن عادات واخلاق لاترد بكل حيلة ولاتدفع بكل وسيلة فان الكسل خلق من اخلاق الانسان يرثه او تنشئه العادة له فيظل ملازماً اياه حتى لاسبيل الى دفعه وكذلك الكبرياء

الذميمة فانها من اخلاق السوء الغريزية وقد مد مسافتها قلة العلم ووسائل التهذيب ومثلها الحياء وسائر مسببات الفقر وعيوبه حتى تساوت بذلك حالتا الفقر والغنى من الجهة الطبيعية فكان الذي ورث المال عن اهله مثل الفقير الذي افتقر لمرضه اذ كلاهما قد وصل الى حالته عن غير قصد وكان النشيط الجريء المقدام الذي اوجدت الطبيعة فيه الهمة والعزم مثل الكسلان والحيي او الفخور والمتواني الذين اوجدت الطبيعة فيهم العجز والخور

ولكن عمل الطبيعة هذا ليس من اعمالها التي لاتدفع ولاترد بالاطلاق كأن يولد الانسان اعمى فلا سبيل لرد بصره ولكنها من الاعمال التي قد تدفع وتغلب وكما ان الكسل مثلا قد اوشك ان يكون ممتنعاً في اوربا لكثرة مراقبة حكوماتها للناس وتعويدهم الاشتغال فانه قد يكون عندنا كذلك ايضاً وما من عيب من هذه العيوب التي ذكرناها الا وله دافع من الصناعة مانع من الحيلة وليس ذلك حتى لا يكون في الدنيا فقر بالمعنى الذي يفهمه الاكثرون من حيث القلة بالقياس الى الكثرة بل حتى لايكون فقر حقيقي وهو الحاجة الى الشيء الممتنع اصلاً وحتى يكون كل انسان حاصلاً على ضروراته ممتعاً من العيش بما يراه سعادة بالاضافة الى عادته ومنشأه ولا يخفى ان الوصول الى ذلك امر ميسور لان الدنيا ليست بضيقة على اهلها ولكن اخلاق اهلها التي تضيق وما دنيانا لمن التمس نفعها الا مستقر السعادة ومنبت السرور باصنافه فاذا احتال مجموع هؤلاء الناس وعودوا نفوسهم العمل كيف كان ومنعوا عنهم هذا الحياء الضار واوجبوا وجوده فيما يضر فانهم كلهم يعيشون سعداء وان هذه الارض تنبت لنا كل الذي نشتهي حتى تزيد وتجود علينا الطبيعة مسخرة بكل ما نريد افليس من العجب بعد ذلك ان نكون فقراء بل اليس